دراسات

القيم الإنسانية في الفلسفة الرواقية
نموذج إبكتيتوس

سفيان البطل

مركز أفكار للدراسات والأبحاث
Afkaar Center for Studies and Research

ALL RESERVED©2020
جميع الحقوق محفوظة © 2020

القيم الإنسانية في الفلسفة الرواقية

نموذج إبكتيتوس

سفيان البطل[1]

ملخص البحث

يركز بحثنا على محاولة رصد القيم الإنسانية التي تؤطر الفرد كمحدد طبيعي وعقلاني في تفكيره وسلوكه. ومن ثم يكون سؤالنا الذي مداره البحث في قيمة الإنسان ويتعلق بمعيار الحقيقة، هو سؤال بأي معنى تتحقق الذات الإنسانية كفضيلة؟

من هنا توجهنا بالنظر إلى الفيلسوف الرواقي إبكتيتوس الذي يؤسس غاية الأخلاق من خلال ملكة المعرفة والتمييز، ولما كان الغرض الأخلاقي مفتاح السعادة الذي يبين لنا طريق الفضيلة، ظهر الإشكال الحقيقي مع إبكتيتوس حينما نبحث عن كيفية انبناء فلسفة أخلاقية على مفهوم يقع خارج الغرض الأخلاقي؟

وبناء عليه، نرى أن مفهوم العقل يأخذ دورا أساسيا في فلسفة إبكتيتوس العملية، وذلك من خلال الوعي بالذات وإدراك الفرد لماهية وجوده. وعليه نطرح الإشكال كالتالي: هل تكمن أهمية التصورات العقلية في كونها قابلة للتطبيق من أجل حياة أخلاقية مطابقة لنظام الطبيعة؟ أم أن دور العقل يتمثل في جعل حياة الإنسان أفضل من خلال اختيار الأفراد العمل به؟.

Our research focuses on trying to monitor the human values that frame the individual as a natural and rational determinant in his thinking and behavior. therefore, the question that revolves about searching in the value of man and relates to the criterion of truth, is the question "in what sense does the human self achieve and whose purpose is a virtue ?"

[1] . باحث وعضو بمختبر **الفلسفة والمجتمع** في كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة -المغرب.
Researcher and member of the Laboratory of Philosophy and Society at the Faculty of Letters and Humanities, University of Ibn Tofail, Kenitra – Morocco.

Based on that we look at the Stoic philosopher Epictetus who establishes the goal of morality through the faculty of knowledge and distinguishing, and when the moral purpose was the key to happiness that shows us the way of virtue, the real problem emerged with Epicetus when we search for how to build an ethical philosophy on a concept that falls outside the moral purpose ?

Accordingly, we see that the concept of mind takes a fundamental role in the practical philosophy of Epictetus, through self-awareness and individual awareness of what is its existence. Therefore, we present the problem as follows: Does the importance of mental perceptions lie in the fact that they are applicable for an ethical life in conformity with the nature system? Or is the role of the mind to make a person's life better by individuals choice to use it ?

مقدمة

تعتبر الفلسفة بوصفها أخلاقا، ذات صبغة عملية. وعليه، فأخلاق الإنسان تقوم على مُسَاوَقَةٍ بينَ قوانينِ العقلِ التي هي قوانينُ الطبيعةِ، ومنه، نجد أن الطابع الرئيسي الذي تتمتع به الفلسفة الرواقية أنها فلسفة عملية تجعل من العمل الغاية الحقيقية للحياة الإنسانية؛ حيث تجعل من العلم الذي يقوم تحته العمل موضوع التفكير الرئيسي.

بالنسبة للفيلسوف الرواقي إبكتيتوس[2] Epictetus عندما نتحدث عن غاية الأخلاق، يرى أن الإنسان قد أُعْطِيَ ملكةَ المعرفةِ للتمييز بين الخير والشر، وبالتالي يقبل بكل التصورات القبلية التي تمنحُ من قِبل الإله، وهو يَفهمُ ذلك عندما يقابل -أي الفرد- وَضعاً معقدا ويكافح حول ما يجب فعله. وهنا يبدو لنا تأييده وقوله لما أتى به سقراط؛ حينما جعل معرفة الخير والشر كامنة بداخلنا، وأن هذا الأمر معطى مُنجز، ونحن نتذكر المعرفة من خلال ممارسة هذه المعرفة[3].

---

[2] . «إبكتيتوس، فيلسوف رواقي عاش في النصف الثاني من القرن الأول والثلث الأول من القرن الثاني الميلادي (50م – 130م). ولد في هيرابوليس بآسيا الصغرى وأرسل إلى روما حيث صار عبدا لرجل يدعى إبافروديت، ومن هنا اشتق اسم "إبكتيتوس" ويعني "العبد" باليونانية. وحين تولى الإمبراطور دومتيانوس الحكم أصدر أمره بإخراج الفلاسفة من إيطاليا تقريبا عام 91م، فهاجر إبكتيتوس من روما واستقر في نيقوبوليس في اليونان، وأسس بها مدرسةً توافدَ عليها شباب الأرستقراطية الرومانية. كان إبكتيتوس رواقيا في حياته وأقواله، ولم يدون فلسفته بنفسه، ولكن تلميذه أريان جمع بعضا من أقوال أستاذه ودونها عند سماعها ونشرها في كتاب بعد وفاته أسماه "مذكرات إبكتيتوس" Discourses، وهو يحتوي في الأصل على ثمانية أبواب لكن لم يبق منها إلا أربعة. ويعد إبكتيتوس أعظم الفلاسفة تأثيرا في تفكير ماركوس أوريليوس، وقد أكثر ماركوس من الاقتباس منه في تأملاته ومن إعادة صياغة الكثير من أفكار إبكتيتوس في "المذكرات"»، ماركوس أوريليوس، التأملات، ترجمة عادل مصطفى، ومراجعة وتقديم أحمد عثمان، رؤية للنشر والتوزيع 2010، هامش ص. 31.

[3] . أنظر قوله: «يرى سقراط أن أفضل أنواع الحكمة هي التي تأتي من العقل وحده وحيث نبتعد أقصى ما يمكن عن ملوثات البدن. يؤكد سقراط أن هناك أشياء توجد بذاتها مثل العدالة بذاتها والخير بذاته والجمال بذاته. هذه الأشياء لا

على عكس أفلاطونية سقراط، لا ينتج العالم عند إبكتيتوس من التصورات القبلية، فبالنسبة له هي هبة من الإله، وهي موجودة في العقل وعلى الفرد أن يتتبع هذه المعرفة لكونه مخلوقا أخلاقيا. فالغرض الأخلاقي هو مفتاح السعادة الذي يبين لنا طريق الفضيلة، وهو تركيب بين الخير والشر، وبالنسبة لإبكتيتوس هناك مجال ثالث يشكل أساس فلسفته يسمى اللامبالي indifferent، وهو يقع خارج نطاق الغرض الأخلاقي. حيث نجده يصف الخير والشر واللامبالاة على النحو التالي: «بعض الأشياء هي خير، والبعض الآخر هي شر، ولكن البعض غير مبال. الآن الفضائل وكل ما يشترك فيها خير، في حين الرذائل وكل ما يشترك فيها هي شر، وما يقع بينها كالثروة أو الحياة أو الموت أو الملذات أو الألم هي غير مبالية (محايدة). ومن أجل أن نكون كيانات أخلاقية، على عمل الفرد أن يكون في مجال الغرض الأخلاقي، وإذا كانت الأشياء اللامبالية كما سماها إبكتيتوس خارج الغرض الأخلاقي على الفرد ألا يتبعها»[4].

فإذا كان الشخص يحكم نفسه بنفسه وليس عن طريق ملذاته أو آلامه أو ثروته –أي ليس عن طريق الأشياء اللامبالية- فسيكون سيد نفسه. من ناحية أخرى، إذا كان المرء يرتب حياته الخاصة وفقا للأشياء التي من شأنها أن تمنحه المتعة، إذن حياة هذا الشخص سوف تقع خارج الغرض الأخلاقي. فالغرض الأخلاقي لا يدفع الإنسان إلى التفكير في ملذات الحياة (مثل الثروة والشهرة وما إلى ذلك) لأن هذه الأمور ستأخذ حياة الفرد بعيدا عن مجال الغرض الأخلاقي مما سيعيق طريقه نحو السعادة، لأن السعادة تأتي من الأفعال الفاضلة، والفضيلة تنتمي إلى عالم الأخلاق[5].

يمكن اكتشافها بالحواس وإنما فقط عبر جهود الفكر»، حاتم حميد محسن، دلالات موت سقراط ونظرياته في خلود الروح، صحيفة المثقف، العدد 5008، نشر بتاريخ 2020/05/22، الرابط:
http://ns1.almothaqaf.com/a/b12-1/917496

انظر أيضا، في حوار قصير بين سقراط ومينو، دار نقاش حول موضوع رئيسي هو ما إذا كنا، كبشر، نواصل "تعلم المزيد" كما يقول مينو، أو "التذكر" كما يدعي سقراط. يزعم سقراط أننا كبشر يمر علينا في الحياة ونصادف بعض الأسئلة والمعضلات، وفي مخض ذلك يرى أننا لا "نتعلم المزيد" بالضرورة دائما، ولكن بدلا من ذلك نحل هذه الأشياء عن طريق "التذكر". ما يعنيه سقراط بهذا هو أننا لا نحل باستمرار أو نتغلب على عقبات الحياة من خلال تعلم طرق جديدة للقيام بذلك، ولكن بدلا من ذلك نعود إلى ما نعرفه بناءً على الخبرة ونحلها بهذه الطريقة. بل إن سقراط يخطو خطوة أبعد ويدعي أن "اكتشاف الأشياء" و"التعلم" هما نفس الشيء مع "التذكر". أنظر:
Sean Quinn, “Socrates and Meno: Learn More or Remembering?”, Philosophy of Education (Phil 115), September 23, 2013, link :
https://sites.psu.edu/phileduc/2013/09/23/socrates-and-meno-learn-more-or-remembering/

[4]. HÜLYA KAHVECİ, Virtuous Life and Happiness in Epictetus, Socrates and Stoicism, a thesis submitted to the graduate school of sciences of middle east technical university, in partial fulfillment of requirements for the degree of master of arts in the departement of philosophy, may 2015, pp. 69-70.

[5] . يقول في اللذة: «حين تراودك خيالات متعة مرتقبة، فاحذر أن تأخذك بعيدا، شأن غيرها من الخيالات. بل انتظر قليلا وامنح نفسك مهلة. ثم استحضر في ذهنك كلتا اللحظتين: تلك التي ستنال فيها المتعة، وتلك التي ستندم فيها بعد ذلك وتوبخ

وبالتالي مفتاحنا في الغرض الأخلاقي هو معرفة حدود الاختيار وحدود الاضطرار، لأن حرية الشخص دائما معرضة للخطر عندما يركز هذا الشخص على ما هو خارجي، ففي نهج فهم إبكتيتوس إذا كانت الأمور الخارجية هي الدور القيادي في حياة الإنسان، فسوف يجد هذا الإنسان نفسه في دائرة من التعاسة التي يمكن أن تؤدي به إلى أي مكان، لأنه قضى حياته محاولا امتلاك ما ليس ولن يكون له أبدا، ولن يكون في وسع سيطرته.

نجد إبكتيتوس يكرر مرارا وتكرارا في حواراته الموثقة، بأن الأشخاص الذين يتوقون إلى الأشياء التي لا يملكونها تحت سيطرتهم بعيدون عن الحرية ومحكوم عليهم بالتعاسة والعبودية. لذلك يحذر تلاميذه وينصحهم بأن ما نمتلكه سنفقده. ويضرب مثلا لمعنى الحرية بطاغية أراد وضع أغلال على ساقيك، فهو يرى أن على هذا الأمر ألا يكون مصدر إزعاج وألا يوهم بشيء. فالطاغية له من الفرد فقط جسده الذي يلمسه، ولا يمكن أبدا أن يصل إلى قيمة أخلاقية فيه، وكأبناء زوس يقول إن البشر ليسوا عبيدا بل هم أحرار بشكل طبيعي. ولذلك أغلال هذا الطاغية ليست شيئا يذكر في حالة إبكتيتوس خصوصا إذا كانت الأغلال هي نفسها إحدى الأشياء الخارجية وخارج الغرض الأخلاقي، وليست تحت سيطرة الفرد، وبهذا تكون حرية الفرد وسعادته التي آل إليها[6].

من خلال فصول هذا البحث ومحاوره التالية، يمكن أن نجمل القول أن عملنا اختص بالبحث في: ما الإنسان كمحدد طبيعي وعقلاني؟ وما الإنساني في سلوك الفرد وتفكيره؟ ما هي قيمته التي يكون فيها معيار الحقيقة؟ وبأي معنى تتحقق الذات ويكون قصدها فضيلة؟ إذن؛ من خلال النظر في فلسفة إبكتيتوس نرى كيف أعطيت للأخلاق صورة عملية تتمتع بالفرادة حيث إنها تنطلق من الإنسان للإنسان بما هو إنسان.

أولا: الفلسفة الرواقية ومراحل تطوراتها

مرت المدرسة الرواقية من ثلاث مراحل، المرحلة الأولى وتسمى **"الرواقية المبكرة"** ويترأسها زينون[7] Zeno الذي وضع أصولها ويليه كليانتس Cleanthes

---

نفسك. وضع مقابل ذلك بهجتك وغبطتك بنفسك إذا أنت تعففت عن اللذة. أما إذا بدا لك الوقت ملائما للانغماس، فاحترس ألا يقهرك سحر اللذة وتخلِبَكَ متعتها وإغراؤها، وضع في الكفة الأخرى كم هو أفضل بكثير إدراكك بأنك قد انتصرت عليها»، إبكتيتوس، المختصر، ترجمة ودراسة عادل مصطفى، الطبعة الأولى 2015، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، ص. 74.

[6]. HÜLYA KAHVECİ, Virtuous Life and Happiness in Epictetus, Socrates and Stoicism, Ibid., p. 73.

[7]. ولد نحو سنة 342 ق.م في مدينة سيتيوم Citium، وهي مدينة يونانية يغلب على أهلها النزعة الدينية التي يتميز بها الجنس السامي، مارس كوالده وأفراد أسرته التجارة في بداية شبابه، وبعد ذهب إلى أثينا حيث تتلمذ على يد كراتس Crates الكلبي وستلبو Stilpo الميغاري وبوليمو Polemo الأكاديمي، كما تأثر أيضا بتعاليم سقراط التي درسها من كتب إكزينوفان وأفلاطون، ومنه خرج للناس بفلسفة جديدة عرفت بالفلسفة الرواقية وذلك حوالي سنة 300 ق.م. أنظر: زكي نجيب محمود وأحمد أمين، قصة الفلسفة اليونانية، الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي، 2017، ص. 169.

وكروسبوس Chrysippus. والمرحلة الثانية هي **"الرواقية الوسطى"** من أعلامها بنايتوس Panaetius ثم بوسيدونيوس Posidonius . أما المرحلة الثالثة وهي "الرواقية المتأخرة" وتعرف أيضا باسم **"الرواقية الرومانية"** ولم تعر اهتماما بالمنطق أو الطبيعيات كسابقاتها وإنما ركزت على الأخلاق، وأهم أقطابها: سينكا Seneca وإبكتيتوس Epictetus ثم ماركوس أوريليوس Marcus Aurelius.

تتميز الرواقية بثلاثة مسائل رئيسية: «الأولى أن الفلسفة الحقيقية هي الفلسفة العملية، والثانية أن الفلسفة العملية هي التي تقوم على العمل المطابق للعقل، والثالثة أن العمل المطابق للعقل هو الذي يجري بمقتضى قوانين الطبيعة»[8]. ومنه، ينظر الرواقيون إلى الفلسفة بوصفها أخلاقا، والأخلاق حسب تصورهم هي أن يفعل الإنسان وفقا لقوانين العقل، التي تنحو في مسارها نحو قوانين الطبيعة، وكل هذا يصب في هدف واحد هو وضع قوانين للسلوك الإنساني الخير. فمن ثم ارتبطت الفلسفة أشد الارتباط بموضوع الفضيلة، فقد ذهب الرواقيون إلى اعتبار غاية الفلسفة أن تكون فلسفة عملية تحدد الفضائل التي على الإنسان أن يتحلى بها، وبالتالي كان مسار تحقيقها عن طريق العمل بالعقل الذي يذهب بالفرد نحو الخيرية.

إذن، الطابع الرئيسي الذي تتمتع به الفلسفة الرواقية هو أنها فلسفة عملية لأنها تجعل من العمل الغاية الحقيقية للحياة الإنسانية؛ وبالتالي تجعل من العلم الذي يقوم تحته العمل موضوع التفكير الرئيسي. ولعل هذا هو المبرر الذي يتبناه المرء ويجعله سببا لوضع الرواقي الأخلاق في أعلى مراتب العلوم الفلسفية. وهنا تظهر مفارقة بسيطة يحاجج بها البعض، حينما نقول إن الفعل الأخلاقي لا يكون صحيحا إلا إذا كان موافقا لما يقتضيه نظام الطبيعة. وعليه نفهم أن الفعل الأخلاقي ما هو إلا اتجاه لتحقيق قوانين الطبيعة بالنسبة إلى الإنسان، حيث تصبح الأخلاق ذات مركز ثانوي مقارنة بالنظام الطبيعي «ذلك لأن كل فعل أخلاقي إنما يكون عن طريق الممارسة، والممارسة لا تكون إلا على أساس النظرية، فالنظرية إذن هي المبدأ الأول الذي يقوم عليه العمل الأخلاقي، أو بعبارة أخرى الغاية من كل تجربة أو فعل أخلاقي هو تحقيق قانون طبيعي»[9]. نستنتج إذن أن للطبيعيات أسبقية على الأخلاق. ويبقى السؤال مطروحا كالآتي: لم العودة في الفلسفة الرواقية إلى موضوع الأخلاق واستثمارها كفلسفة بالدرجة الأولى من حيث الأهمية؟

إن الجواب على السؤال السابق له منطلق واحد عائد إلى مسألة تاريخية صرفة، إذ أن التطور الفكري آنذاك كان يتجه في بادئ الأمر مع زينون وكليانتس إلى العناية بالطبيعة،

---

[8]. عبد الرحمان بدوي، خريف الفكر اليوناني، خلاصة الفكر الأوروبي، سلسلة الفلاسفة، الطبعة الرابعة 1970، مكتبة النهضة المصرية، ص. 11.

[9] . المرجع السابق، ص. 14.

وهذا لأن الفكر في هذه الحقبة من الزمن كان خصبا وله قدرة أكثر على الإنتاج من ناحية نظرية ميتافيزيقية. بينما الطور الثاني من الفلسفة الرواقية، شهد حضورا طاغيا للنزعة العملية الأمر الذي أدى إلى فقر العقل الإنساني بحيث أصبح عاجزا على أن يستجيب لنداء النظر على حساب العمل[10]. من هنا، نسجل أنه كان من الطبيعي أن يكون للأخلاق المقام الأول بالنسبة للطبيعيات، حيث إن العلوم الطبيعية باتت تغيب في الساحة تبعا لذلك؛ وهذا ما نلمسه في الدور اليوناني الأخير عند كريسيفوس.

ثم يأتي الدور الروماني الذي ساهمت في تطوره الروح الرومانية، وهنا باتت الفلسفة الرواقية عملية صرفة، لذلك اعتبرت الأخلاق بالدرجة الأولى في هذا الوضع، لأنها أضحت فلسفة «لا تكاد تتجاوز أنواع الأعمال والقواعد المرتبطة بأنواع الأعمال التي يجب أن يؤديها الإنسان حتى يصل إلى الحياة السعيدة أو إلى الخلاص في هذه الحياة»[11]. فعندما انتقلت الفلسفة من معناها الرواقي اليوناني إلى المعنى الرواقي الروماني، ظهر بأنها تتجه إلى الناحية العملية لفلسفتها في الحياة، فانصرفت عن الأسس النظرية الأولى التي قامت عليها الأخلاق الرواقية. فأعلام هذا التيار الروماني من الفلسفة الرواقية عملوا على ما يمكن أن نصطلح عليه بـ"الأخلاق العملية": وهي التي يحاول فيها الإنسان أن يقترب قدر الإمكان من المثل الأعلى للفضيلة الرواقية، وهنا تصبح الرؤية تتوقف على الغرض الذي يفيد تحصيل الهدف أو النتيجة، لذلك تبنى فلاسفة الرواقية الرومان هذا التصور لأنهم وجدوا فيه ما يمكنهم من اتخاده وسيلة لقيادة الضمير وتوجيهه.

في مقابل ذلك جاء أصحاب الرواقية اليونانية بما اصطلح عليه بـ"الأخلاق النظرية": وهي التي تحقق الفضيلة في صورتها العليا، أي بأن يعلم المرء قوانين الطبيعة وأن يلائم بين حالته النفسية والأخلاقية، تتوقف الرؤية هنا أيضا على معنى الغاية من حيث هي تحقيق الفعل، وبالتالي تكون غاية الفعل هي الفعل في ذاته. هذا الأمر سيقود الحديث إلى التمييز الذي وضعه الرواقيون حول الفضيلة، حيث ذهب أصحاب "الأخلاق العملية" إلى ربطها بالفطنة، لأن الفطنة هي محاولة الإنسان أن يحقق الفضيلة، في حين ذهب أصحاب "الأخلاق النظرية" إلى ربط الفضيلة بمعنى الحكمة، لأن الحكمة هي الأخلاق النظرية. ورغم هذا التمييز إلا أن الطابع المشترك لكلا النوعين يفترض دائما في الأخلاق أن تكون أخلاقا باطنية تصدر عن النية، وهي ما يمكن أن نجعله تجسيدا للحياة الباطنية التي يحياها الإنسان مع ذاته. ورغم هذا فإن الفكرة التي يمكن أن نقول أنها تطبع الرؤية الرواقية للأخلاق دون استثناء هي النزعة الكونية؛ حيث ينظر إلى الإنسان بوصفه جزءا من هذا الكون الكبير ويتصل به.

---

[10] . المرجع السابق، ص. 15.

[11] . المرجع السابق، ص. 15.

1-الرواقية المبكرة

ويمكن أن نلمس أهمية الجانب الأخلاقي في الفلسفة الرواقية من خلال تحديد الفيلسوف الروماني سينكا للفلسفة بعلم السلوك، حيث يقول: «الفلسفة ليست أي شيء، وإنما هي العلة الطبيعية للحياة، أو المعرفة الحلوة بالحياة، أو هي فن تنظيم الحياة الطبيعية. لن تخطئ إذا قلت إن الفلسفة هي قانون الحياة، ومن يقول هذا الحكم عن الحياة، فهو الذي يسمى بالحكيم»[12]. ومنه نستنتج أن الفلسفة تختص أساسا بالسلوك، وأن غاية الحياة أو السعادة تعتمد على الفضيلة. وبالتالي؛ الفضيلة هي أن يتفق السلوك الإنساني مع قانون الطبيعة، وهذا ما يمكن أن نعبر عنه بنفس المعنى حينما نقول بأن تتفق الإرادة البشرية مع الإرادة الإلهية عن طريق الطبيعة الجوهرية في سلوك الإنسان التي هي العقل.

إذن، العيش وفق الطبيعة يعني عند الرواقية «أولا أن الناس يجب أن يتطابقوا مع الطبيعة بالمعنى الواسع أي أن يتطابقوا مع قوانين الكون، وهو يعني -ثانيا- أنهم يجب أن يطابقوا أفعالهم مع الطبيعة بالمعنى الضيق حسب طبيعتهم الجوهرية أي العقل وهذان التعبيران يعنيان عند الرواقيين شيئا واحدا فالكون ليس محكوما بالقانون فحسب بل بقانون العقل أيضا والإنسان في اتباعه للطبيعة العقلانية إنما يطابق نفسه في الواقع مع قوانين العالم الواسع»[13]. وبما أن العقل هو الملكة الأسمى التي تعطي للإنسان تفوقا على الحيوان، كان العيش وفقا للطبيعة هو العيش وفقا للعقل. وبناء عليه عرف زينون الغاية بالحياة وفقا للطبيعة، الأمر الذي يعني بدوره أن نحيا حياة الفضيلة التي تعني تطابق تجارب الحياة مع قوانين الطبيعة، لأن الوجود الماهوي للإنسان ما هو إلا جزء من كلي الطبيعة.

ولما كانت الفضائل كلها مرتبطة بالنسبة للرواقية المبكرة، كان على الإنسان إما أن يكون فاضلا تاما أي أنه قد حَازَ كل الفضائل أو أن يكون غير فاضل لأنه لم يحقق الصورة التامة لكل الفضائل فيه، وبالتالي من لم يتم طريق التقدم الأخلاقي أو اقترب من اتمامه تقريبا فهو ليس فاضلا بعد، ولذلك لم يكن إلا القلة الذين حَازُوا هذه الدرجة. إذ من الممكن أن «يسير الإنسان في البرية طيلة حياته، أو على الأقل في الأعم الأغلب منها. وإن قدر له أن يبلغ الفضيلة فمتأخرا. وعند مغيب شمس حياته»[14]. وعلى هذا تمت الرؤية المثالية الأخلاقية التي تميزت بها الرواقية المبكرة.

2-الرواقية الوسطى

---

[12] . فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، اليونان وروما، المجلد الأول، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المشروع القومي للترجمة، إشراف جابر عصفور، الطبعة الأولى 2002، العدد 436، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، ص. 528.

[13] . ولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع 1984، القاهرة، ص. 283.

[14] . فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، اليونان وروما، المجلد الأول، مرجع سابق، ص. 532.

وهنا أبدى الفلاسفة الرواقيون ميولهم نحو المذهب الانتقائي، حيث أدخلوا عناصر أفلاطونية وأرسطية وتخلوا عن الرواقية المحافظة. وكان هذا بسبب احتكاكهم بالعالم الروماني الذي يطغى على تفكيره التطبيقات العملية للنظرية الفلسفية أكثر من اهتمامه بالفكر النظري[15]. وقد شهدت هذه المدرسة تغيرات في فكرها من الناحية الأخلاقية حيث عمل بنايتوس على رفض نظرية الرواقية في التنبؤ بالغيب وعلم التنجيم ... وغيرها[16].

وكان من أهم تلاميذ بنايتوس الفيلسوف العقلي بوسيدونيوس وهو معروف أيضا كمؤرخ وجغرافي وصوفي، ربط بين مختلف التيارات الفلسفية، وقد شهد له ارتباط مدرسته بفلسفة الرياضيات خصوصا في موضوع التمييز بين النظريات والمشكلات، وفي موضوع التوازي، وحول وجود النظريات، وبالرغم من هذه النظرة الواحدية لبوسيدونيوس، إلا أننا نجده «يوافق على الثنائية الأفلاطونية فقد جعلها تابعة للواحدية المطلقة المتأثرة بنظرية هراقليطس في التضاد مع الانسجام أو الوحدة في الاختلاف»[17]. أما عن اهتمامهم بالأخلاق فقد كان في حدود مستويات متدنية، إذ اقتصر اهتمامهم لهذا الجانب من خلال النشاط العملي والسياسي، ثم من خلال تكريس الذات لحياة الفكر النظري.

3-الرواقية المتأخرة

وكان من خاصياتها تمسكها بالمبادئ الأخلاقية والعملية التي لها طابع ديني، فرأت أن سعي الإنسان هو في تشبهه بالإله، وفي خيرته مع بني جنسه التي تحمل على الواجب، ومن هذا المنطلق برزت الأفكار الأخلاقية النبيلة مع كل من سينكا وإبكتيتوس ثم الإمبراطور ماركوس أوريليوس.

أ- بالنسبة للفيلسوف الروماني سينكا القرطبي[18]، فقد شدد على الأخلاق باعتبارها الجانب العملي من الفلسفة، حيث اهتم بممارسة الفضيلة أكثر من البحث النظري في طبيعتها، ومن ثم لم يعد البحث مقتصرا على المعرفة العقلية لذاته، بل تجاوزه إلى الفلسفة بوصفها وسيلة لاكتساب الفضيلة، وإلى الغاية العملية من السعي وراءها[19].

---

[15] . المرجع السابق، ص. 559.

[16]. المرجع السابق، ص. 560.

[17]. المرجع السابق، ص. 561.

[18]. «لوكيوس أنّايوس سينيك يعرف أيضًا باسم سينكا؛ فيلسوف وخطيب وكاتب مسرحي روماني، كتب أعماله باللغة اللاتينية. ولد في قرطبة في إسبانيا وتوفي بالقرب من روما. يلقب بسينكا الفيلسوف أو الأصغر تمييزاً له عن والده الخطيب الشهير. من بين تصوراته الفلسفية موقفه الرواقي في فن سياسة النفس بحيث يتحكم المرء في رغباته وأحاسيسه الجسمية ومطالبه العضوية وهو ما يحقق للمرء قدرا من الاستواء واللامبالاة تجاه الأحاسيس والسكينة التي هي منتهى الحكمة والسعادة». أنظر: لوكيوس سينيكا، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، الرابط:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%84%D9%88%D9%83%D9%8A%D9%88%D8%B3_%D8%B3%D9%8A%D9%86%D9%8A%D9%83%D8%A7

[19] . فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، اليونان وروما، المجلد الأول، مرجع سابق، ص. 567.

اهتم سينكا بالنظريات الطبيعية لاعتباره ذلك فرصة سانحة لتحقيق نتائج أخلاقية، فعند دعوته للفضيلة كان على وعي تام بالصراع الأخلاقي الذي يستحيل أن يوجد معه الإنسانُ فَاضِلاً في لحظة. ولذلك لم تَكنِ النزعةُ المثاليةُ عند سينكا بنفس الحِدَّةِ التي كانت عليها الرواقية المبكرة، بل إننا نجده يميز بين ثلاثة فئات من أهل الجدارة: «(أ) أولئك الذين تخلوا عن بعض خطاياهم لكن لم يقلعوا عنها جميعا. (ب) أولئك الذين اتخذوا قرارا وعزما على نبذ الانفعالات الشريرة بصفة عامة، رغم أنهم لا يزالون عرضة للانتكاس بين الحين والحين. (ج) أولئك الذين تجاوزا مرحلة إمكان الانتكاسة، لكنهم لا يزالون يفتقرون إلى الثقة بأنفسهم وإلى الوعي بحكمتهم الخاصة. ومعنى ذلك أنهم قد اقتربوا من الحكمة والفضيلة الكاملة»[20].

فضلا عن ذلك، يرى سينكا أن الحكيم هو من لا تملكه محدثات العالم الخارجي من خيرات، فكان من ثمرات حكمته التي قدمها لضمان التقدم الأخلاقي: محاسبة النفس على كل ممارسة وعمل بشكل يومي، والحرص على أن تجمعنا علاقات خيرة بالآخرين، فلا نميز بين العبد والحر. إلى جانب هذا يرى سينكا أيضا العقاب كشكل من أشكال الخير، حيث يقول: «فمن الخير أن تعاقب مرتكبي الشر»[21] وهو تصور سنجد له امتدادا عند إبكتيتوس مع إضافة بسيطة في تناوله للموضوع، وسنتطرق إلى ذلك في حينه.

ب- وبالنسبة لإبكتيتوس ينطلق من افتراض أن الناس بطبيعتهم متساوون في امتلاكهم للوسائل التي تحثهم على السعي نحو الفضيلة وتحقيق السعادة، فهو يرى أن الإنسان يملك ما يدفعه نحو إقامة الحياة على منهج أخلاقي يرتقي به. ومن ثم كانت أهمية المعرفة في قدرتها على تفعيل المبادئ في الممارسة العملية وتطبيقاتها من أجل تحقيق الذات على نحو عقلاني يرقى بوعي الفرد وحريته وسعادته.

من هنا تتجلى لنا مع إبكتيتوس ما يمكن أن نفترضه واجبات تجاه الذات، مثل مراجعة النفس ومحاسبة الضمير والعمل على وضوح الرؤية وسلامة الأفكار في تمثل الأشياء، وبالتالي تكمن السعادة في قدرة الفرد في إرادته المستقلة عن الظروف الخارجية، فهاته الظروف جديرة بالاستغلال على النحو السليم والرشيد لتحقيق غاياتنا الفضلى لا أن تكون سببا في قصر ذواتنا عليها.

ج- يعد الإمبراطور الروماني ماركوس أوريليوس، أحد أشد المعجبين بإبكتيتوس، وهو لم يخرج عن تصورات سينكا وإبكتيتوس في إعطاء صبغة دينية لفلسفته، التي يشدد فيها على العناية الإلهية والتنظيم الحكيم للعالم والعلاقة الوثيقة بين الإله والإنسان والواجب الذي يحمل الفرد على حب الآخرين.

---

[20] . المرجع السابق، ص. 570-571.
[21] . المرجع السابق، ص. 572.

فالمعروف عليه كإمبراطور، أنه كان يعلم الناس معنى الشفقة والرحمة فيحثهم على تمثل هذا المعنى في سلوكهم مع الآخرين، ومن هنا نفهم قوله: «عندما يفعل أي إنسان تجاهك شيئا خطأ، عليك أن تبدأ فورا في النظر في الزاوية -خيرة أم شريرة- التي قادته إلى هذا الخطأ. وبمجرد ما تدركها فإنك لن تندهش ولن تغضب، وإنما سوف تأسف له. لأنه إما أن تكون وجهة نظرك إلى الخير هي نفسها وجهة نظره أو شيئا يشبهها في النوع، وسوف تلتمس له الأعذار، أو أن وجهة نظرك عن الخير أو الشر قد تغيرت فسرعان ما تتلطف في الحكم عليه»[22]. وهنا تبرز دعوته في الحاجة إلى الأريحية النشطة. فمثلا إذا أشفق الإنسان على غيره، يكون الإشفاق غاية وجد لها الإنسان، ولذلك كلما عمل الإنسان عملا من أعمال الخير حقق قانونا من قوانين وجوده التي بها يصل الإنسان إلى تحقيق ذاته.

وبذلك يرى ماركوس أوريليوس أن المرء وهب العقل، وهذا العقل هو القدر الذي وهبه الإله لكل إنسان لإرشاده، وبالتالي هذا القدر هو فيض من الألوهية، فمن عصى أوامر العقل فإن سلوك الفرد لن يكون عقلانيا بشكل غير ثَقِيٍّ، وهكذا تكون اللاأخلاقية هي انعدام التقوى[23].

ثانيا: الإنسان بوصفها قيمة في فلسفة إبكتيتوس

1-تحديد الدلالات المفهومية الرئيسية عند إبكتيتوس

أ-العقلانية

إن محور فلسفة إبكتيتوس كلها بَيَانٌ لِمَا يجب أن يكون المرء عليه إنسانيا؟ أي أن يكون مخلوقا عقلانيا أخلاقيا. "العقلانية" كمصطلح وصفي يعني أن الإنسان لديه القدرة على "استخدام الانطباعات" بطريقة عكسية[24]. الحيوانات مثل البشر، تستخدم انطباعاتها

---

[22] . المرجع السابق، ص. 577-578.

[23] . المرجع السابق، ص. 579.

[24] . «يذهب الرواقيون إلى أن عقل كل إنسان منا هو قبس من الله أو "كسرة من زيوس"، وأن العقلانية التي يملكها كل منا هي في الحقيقة جزء من عقلانية الله. وهي العقلانية التي يعرفها إبكتيتوس في المقام الأول بأنها القدرة على الاستخدام الصحيح للانطباعات. "إبكتيتوس، لو كان بالإمكان لكنت جعلت جسدك الضئيل حرا لا يعوقه عائق، وكذلك ثروتك الضئيلة. ولكن أفق، فهذا الجسد ليس خاصتك: إنه مجرد صلصال سويته بعناية؛ ولما تعذر أن أهبك ذلك فقد منحتك شيئا من نفسي: ملكة الاختيار بين البدائل، الطلب والاعراض، الرغبة والنفور، وباختصار: استخدم مظاهر الأشياء. فإذا استطعت أن تحفظ هذه العطية وتجعل ملكك محصورا فيها مقصورا عليها، فلن تعرف القيد أبدا ولا العوائق، ولن تئن ولن تشكو، ولن تتملق أحدا. كيف تستهين إذن بكل هذه المزايا" (المحادثات: 1—1)»، إبكتيتوس، المختصر، مرجع سابق، ص. 123-124.

وأنظر قوله أيضا: «إياك أن تُزْدَهَى بمَناقب سواك. إذا قال الفَرَسُ في خُيَلائه "أنا جميل" فإن بِطَوْقِنا أن نحتمله. أما إذا أخذكَ العُجْبُ فقلتَ "عندي فرسٌ جميل" فاعلم أنك تفتخر بمزِيَّةٍ تخصُّ الفرسَ. ما الذي يخصُّك إذن؟ استخدامك للانطباعات. فإذا ما استخدمتَ الانطباعات بما يوافق الطبيعة ربما يحق لك عندئذ أن تفتخر، مادام افتخارك هو بشيء يخصُّك»، نفس المرجع السابق، ص. 36.

عن العالم في السلوك الموجه بإدراكهم لظروفهم. لكن الإنسان يختبر محتويات انطباعاته ليحدد ما إذا كانت صحيحة أم خاطئة، لأن لديه ملكة "القبول".

فالقبول ينظمه وعينا بالتناسق المنطقي أو التناقض بين الاقتراحات التي قَيْدَ النظرِ والمعتقداتِ التي يملكها الفردُ سلفاً. فعندما لا ندرك أي تناقض، فإننا نقبل بدون أي تردد المسألة المطروحة بين أيدينا، ولكن عندما نتصور تناقضا في شيء ما، فإننا قد نقبله أو نرفضه.

فمثلا؛ إبكتيتوس يرى أن الإنسان قد يَقتل إن اعتقد أن من مصلحته فعل ذلك، وإذا كَشَفَ له أحد ما أنه مخدوع في اعتقاده هذا لن يتجرأ على القتل. وبالتالي يرى في كرهنا أن نكون مخدوعين (موهمين) إلى جانب عدم قدرتنا على قبول حقيقة كون ما نراه بوضوح كاذبا، أكثر حقيقة جوهرية حول الإنسان وأكثر ما يعد خيراً.

ب-مفهوم الإرادة وطبيعة توظيفه

إنها مجددا، القدرة على الاختيار التي تجعلنا مسؤولين عن أعمالنا وحالاتنا، يُؤْثِرُ إبكتيتوس بشكل خاص الكشف عن الآثار المترتبة عن هذا المفهوم الرواقي أساسا. فعند دراسة استخدامه له، من المفيد أن نتذكر أن هذا المصطلح المفضل لديه يشير في كثير من الأحيان إلى القدرة على الاختيار بدلا مما يعني أفعالا معينة من الاختيار.

الإرادة كما يقول إبكتيتوس، هي بطبيعتها مطلقة وغير محصورة بعوائق[25]، ولهذا السبب تعتبر الحرية بالنسبة له خاصية ثابتة بالنسبة للوجود الإنساني، فالفكرة الفعلية للقدرة هي في تمكين الفرد من امتلاك قراراته ليدل الأمر ضمنيا على ضرورة منطقية تفيد أن تلك القرارات خالية من الإكراه الخارجي، وإلا فإنها من ناحية أخرى لن تعتبر قرارات[26]. فالبشر جميعا لهم مثل هذه القدرة والتي يرى إبكتيتوس على أنها تختلف اختلافا عميقا عن الحيوانات، حتى التي تتعامل مع الانطباعات فقط بطريقة غير عكسية.

---

[25]. Margaret Graver, “Epictetus”, Stanford Encyclopedia of Philosophy, First published Tue Dec 23, 2008 ; substantive revision Mon Apr 17, 2017. Link :

https://plato.stanford.edu/entries/epictetus/

[26] . «نحن لا نملك إلا حريتنا. والحرية هي أن يتصرف المرء في أفكاره وإرادته بحيث لا يمكن أن يقهره أحد على غير ما يريد. من لا يرضى بحاله فهو في سجن. "السجن الحقيقي هو أن تكون حيث لا تريد أن تكون" (المحادثات: 12-1). "إنه حر ذلك الذي يعيش مثلما يحب أن يعيش، لا ينالـه قهر أو كبح أو عدوان؛ لا توقف مساعيه ولا تخيب رغباته ولا يحيق به مكروه. فمن ذا الذي يختار أن يعيش في ضلال؟ لا أحد. من ذا الذي يريد أن يعيش مخدوعا متخبطا ظالما منفلتا ساخطا منكسر النفس؟ لا أحد. إذن لا أحد من الأشرار يعيش مثلما يود. وبالتالي لا أحد من الأشرار يمكن أن نعتبر حرا" (المحادثات: 4-1)»، إبكتيتوس، المختصر، مرجع سابق، ص. 136.

إنها الإرادة التي تجسد لنا حقيقة الإنسان، الذات الحقيقية للفرد. إن قناعاتنا ومواقفنا ونوايانا وأفعالنا هي حقا ما نحن عليه، وهي ما نكونه. إنها تمثل حقيقتنا بطريقة ما ولا شيء آخر، ويتم تحديدها من خلال استعمالنا للانطباعات لتترجم في مجال الاختيار. أي وكأن انطباعاتنا الداخلية تحملنا على سلوك فعلي وهذه العملية هي ما يسمى بالاختيار عندما يترجم السلوك الداخلي إلى واقعة خارجية.

كما أن هيئة وراحة جسد الشخص، وممتلكاته وعلاقاته بالآخرين، ونجاح أو فشل مشروعه، وقوته وسمعته، هي في العالم كلها متوقفة على حقائق عن هذا الشخص بعينه، وخبراته وتجاربه، فهذه الأشياء كلها "خارجية"؛ أي الأشياء الخارجة عن مجال الإرادة.

ج-مفهوم القيمة وأبعاده

هذا التمييز بين ما هو داخلي في مجال الإرادة وما هو خارجي بالنسبة له هو أساس تصور نظام إبكتيتوس للقيمة. ففي نهاية المطاف بالنسبة للفيلسوف الرواقي إبكتيتوس ما يحقق الخير للبشرية يتضمن فعلا إراديا. وللتوضيح أكثر، هذا الفعل هو شرط الفضيلة والتعبير السليم لطبيعتنا العقلانية التي نحن لسنا نمثلها فقط بشكل صحيح واستنادا على المعرفة، ولكن أيضا هناك الاعتراف الذي بدوره يمثل صلتنا مع الإله الذي يُعْتَبَرُ مصدر بهجة وسرور لأن الإله هو الحافظ على نظام الكون وخيريته. وحالة السعادة هاته، هي الشيء الوحيد التي يمكن للشخص أن يرغب فيها على نحو ملائم ولائق.

فنحن لسنا مخطئين حينما نعتقد بأن كل ما هو جيد هو مفيد لنا ويستحق السعي غير المشروط خلفه، ولهذا هو مجرد تصور مسبق للخير الذي يمتلكه جميع البشر، لكننا نخطئ في تطبيق هذا التصور المسبق لحالات معينة، لأننا نفترض في كثير من الأحيان أن الأشياء الخارجية لها قيمة غير مشروطة. وفي الواقع، إن الظروف المختلفة لحياتنا هي مجرد ما كان على الإرادة أن تعمل عليه ولم تستطع تحقيقه مع ذاتها بأن تكون إما نتيجة سيئة أو جيدة، لذلك قال إبكتيتوس أن مواد العمل هي غير مبالية، ولكن استخدامنا لها ليس غير مبال[27].

من المسلم به أن بعض الأشياء الخارجية هي أكثر طبيعية بالنسبة لنا من غيرها، تماما كما هو طبيعي بالنسبة للقَدَم أن تعتبر فقط فيما يخصها، يجب أن تكون نظيفة بدلا من أن تكون موحلة، وهنا سيكون من الطبيعي أن يعتبر بالنسبة لسنابل القمح أن تستمر في النمو بدلا من أن تحصد، ولكن هذا فقط عندما نعتبر أنفسنا في عزلة بدلا من أن نكون جزءا من الكل (المجتمع). فحتى موت الفرد لا يثير اهتماما أو قلقا معينا إذا كان هذا هو ما تتطلبه طرق العمل المنظمة للكون.

---

[27]. Margaret Graver, “Epictetus”, Link : https://plato.stanford.edu/entries/epictetus/

ولكن هذا لا ينبغي أن يعني أن يكون الفرد مهملا ظاهريا، بمعنى آخر؛ يجب ألا نفهم الأمر على أن المرء لا يهم من الخارج، بل يجب استخدام كل ما هو خارجي بعناية، لأن استخدامها ليس مسألة غير مبالية، ولكن لأنه في نفس الوقت باتزان وسكون، المادة التي استخدمت هي غير متحيزة.

إذ يمكن للمرء أن يدرك أن شيئا ما بدون قيمة نهائية ويظل رغم ذلك يعمل بقوة وحيوية في سعي منه لتحقيقه، وعند القيام بذلك يكون المرء في انسجام وتطابق مع الشخصية العقلانية. وإبكتيتوس يقدم تشبيها لهذا بلاعبي الكرة الذين يدركون أن الكرة التي لا زالوا يركضون خلفها، هي بلا قيمة في حد ذاتها. ولكن؛ بالرغم منه، تجدهم يَبْذُلُونَ كلَّ ما في وسعهم لإمساك الكرة نظرا للقيمة التي وضعوها في ممارسة اللعبة بشكل صحيح وبناء على القوانين الموضوعة لها.

2-الأخلاق كمحدد إنساني قيمي

يؤكد إبكتيتوس أن الناس بطبيعتهم لديهم الوسائل لتحقيق السعادة والفضيلة. لأن طبيعة الإنسان في نظره تدفعه لفعل الخير والتعاون مع الغير، إذ يرى أن للناس جميعا هذه الحدوس المبدئية الأخلاقية من أجل إقامة حياة أخلاقية عليها. ومع ذلك يبقى للتهذيب الفلسفي ضرورته لدى الجميع، حتى يكون لهم القدرة على تطبيق تصوراتهم الأولية عن الخير والشر في ظروف جزئية خاصة[28]. فالأهم في المعرفة هو قدرتها على تفعيل المبادئ في الممارسة العملية وتطبيقها، وبالتالي ينبغي على المرء أولا أن يحمل هذه المبادئ بالفعل إلى تطبيق العملي في السلوك، ومنه كانت التربية هنا تتألف من عاملين أساسيين هما: «(أ) أن يتعلم كيف يطبق التصورات الأولية الطبيعية على الحالات الجزئية على اتفاق مع ((الطبيعة)). (ب) أن يتعلم التفرقة بين الأشياء التي تكون في قدرتنا والأشياء التي لا تكون في قدرتنا»[29].

من هنا يظهر لنا التمييز بين إرادة الإنسان وإرادة الإله، وبما أن القدر هو مشيئة الإله وإرادته، على الفرد أن يقبل جميع أحداثه بخيرها وشرها دون استنكار أو تَجَهُّم. لذلك وجب تقبل القدر في أحداثه كتعبير عن الإرادة الإلهية[30]، أما قدرة الإنسان فهي في حكمه على

---

[28] . فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، اليونان وروما، مرجع سابق، ص. 573.

[29] . المرجع السابق، ص. 573.

[30] . «باعتبار حياتنا ليست سوى لحظات عندما توضع في منظور كوني ممتد ولا نهائي (كما قال ماركوس أوريليوس). إذن، لماذا يجب أن نتوقع من الكون أن يقدم كل ما نريده؟ إن مجرد توقع أن يتوافق الكون مع إرادتنا يعتبر أمرا لا عقلانيا (سخيفا). وعليه يقول إبكتيتوس، إذا كنت تتوقع أن يقدم الكون ما تريد، فسوف تشعر بخيبة أمل، ولكن إذا احتضنت كل ما يعطيه الكون، فستكون الحياة أكثر سلاسة». ترجمة بتصرف المؤلف، أنظر:
John Sellars, “Want to be happy? Then live like a Stoic for a week”, THE CONVERSATION Academic rigour - journalistic flair, September 28, 2018, link :
https://theconversation.com/want-to-be-happy-then-live-like-a-stoic-for-a-week-103117

الأحداث وإرادته. وهذا ما تتوقف عنده قدرة الإنسان من إمكان، فتكون التربية الذاتية في بلوغ الحكم الصواب والإرادة السليمة، ومن هنا نجد إبكتيتوس يقول: «((تكمن ماهية الخير والشر في موقف الإرادة))، ((وهذه الإرادة تكمن في داخل قدرة الإنسان لأن الإرادة يمكن أن تنتصر على نفسها. لكن ليس ثمة شيء آخر يستطيع الانتصار عليها))»[31]، وبالتالي كانت إرادة الانتصار على الرذيلة فضيلة، وهذا يتحقق بشرط تدريب الإرادة. وليست الخطايا تختلف إلا باختلاف المنظور المادي لها، لأنها تبقى واحدة من المنظور الأخلاقي لكونها تنطوي جميعا على إرادة منحرفة بإمكان المرء أن يتفوق عليها ويعدلها على المسار الصحيح متى نبع ذلك من إرادة حقيقية للفرد وكرس مجهوده لتحقيق غايته تلك «فلا أحد لديه القدرة على أن يقنعك أكثر من نفسك»[32].

وبنفس ما تقدم به سينكا يحث إبكتيتوس أيضا على ضرورة محاسبة الضمير بشكل يوحي كأنه وسيلة عملية للتقدم الأخلاقي، عن طريق تمثل قوة مطلقة تطلع على أعمال الفرد، وإرضاء لتلك القوة العليا كان من الحكمة أن تنتقي من العمل الصالح ما تفعله وتجتنب العمل السيء لارتكابه، وأيضا من العقلانية أن تصاحب الإنسان الخير الذي ترقى معه على الإنسان السيء الذي ترتقي بتفاديه واجتنابه. وبهذا العمل يكون المرء كمن يضع نصب عينيه مثلا أعلى للفضيلة وغاية أسمى.

ومن هنا نجد إبكتيتوس يفرق في مسار التقدم الأخلاقي بين ثلاثة مراحل هي كالتالي: «(أ) إنسان يتعلم لكي ينظم رغباته وفقا للعقل السليم، وأن يحرر نفسك من الانفعالات الضارة، وأن يبلغ طمأنينة النفس. (ب) إنسان يتدرب على الفعل، وعلى القيام بواجبه، فيسلك كما لو كان الابن الحق، والأخ الحق، والمواطن الحق ... إلخ. (ج) وترتبط المرحلة الثالثة بالحكم والمصادقة ((وهدفها ضمان تحقق المرحلتين السابقتين حتى أثناء النوم، أو النشوة أو السكر، أو الوساوس المرضية- لا تدع أي مظهر يمر دون أن تفحصه)) وينتج عن ذلك حكم أخلاقي لا يخطئ»[33].

وعليه، ينطلق إبكتيتوس ليخصص أولى الواجبات في الواجبات نحو الذات، لأن الجمال الأخلاقي ينبع من الشعور بالجمال الطبيعي، والجمال الطبيعي مصدره الطهارة والصفاء الطبيعي، لذلك يحث إبكتيتوس على الاهتمام بالذات والحفاظ عليها كذلك في سعيها نحو الغايات النبيلة.

أما عن التدين وكان أول شروطه وضوح الرؤية وسلامة الأفكار عن تمثل صورة الإله، مثل سلامة الاعتقاد بأن الإله عادل ومنصف لذلك تجب طاعته والاستسلام لقدره

---

[31] . فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، اليونان وروما، مرجع سابق، ص. 573-574.

[32] . المرجع السابق، ص. 574.

[33] . المرجع السابق، ص. 575.

طواعية. ومن هنا يصبح للوجود الإلهي ارتباط بتدبير الوجود الإنساني، الأمر الذي يفيد تفنيد إبكتيتوس لأي فكرة تُقْصِرُ العناية الإلهية على أشكال محددة من تدبير الوجود وشأن الموجود. بمعنى آخر فهو يرفض فكرة أن تخصص العناية الإلهية بما هو سماوي لا أرضي، أو أن تخصص العناية بما هو عام لا خاص، فبالنسبة لإبكتيتوس العناية هي مطلقة تخص العام والجزء من الأشياء.

إلى جانب هذا نجد أن الفيلسوف الرواقي لم يرفض فكرة العقاب التي أشار إليها سينكا عند انتهاك القانون، بل يتفق مع ذلك شريطة أن يكون مصدر هذا العقاب من طبيعة إنسانية متروية، بمعنى يفيد الحث على إمعان النظر قبل التسرع في الحكم، ولذلك يشترط في العقاب أن يتمتع بشيء من الرحمة ليكون لهذا دافع العقاب ليس الردع بل التقويم والعلاج.

باختصار؛ يمكن القول أن إبكتيتوس يرى السعادة تعتمد على قدرة الفرد وعلى الإرادة المستقلة عن الظروف الخارجية، ثم على أفكارنا وتصوراتنا عن الموجودات واستخدامنا للأفكار، وبالتالي يعد المصدر الحقيقي للسعادة هو من الداخل، أي أن أول باب للسعادة نطرقه هو بالنظر في أنفسنا[34].

3-الفهم القيمي للطبيعة الإنسانية عند إبكتيتوس

يرتبط مفهوم القيمة عند إبكتيتوس بطبيعة تصوراته الفلسفية، والتي لا تخرج أفكارها عن محاور الفضيلة والسعادة والحرية والعقلانية، فيستقر الأمر على أطروحات تجسد فلسفة أخلاقية مرتبطة بمكون الحياة ومكون يشي بفلسفة لا تخرج عن سياقها سواء بمعنى العام (أي بالارتباط مع العالم) أو الخاص (أي التجربة الفردية) ولا تفصل بينهما على أساس افتراض أن الجزء من الكل والكل هو من الجزء، ولهذا عندما نتحدث عن شخصية إبكتيتوس نرى أن فلسفته ثمرة تحتمل إرهاصات سقراطية برؤية رواقية للأخلاق. ولعل هذا مبرر اعتقاد إبكتيتوس أن الشيء الوحيد الذي قد يحتاجه المرء وسوف يحتاجه في حياته هو معطى له بالطبيعة، لذلك نجده كأسلافه الرواقيين، مدار تعاليمه حول الحياة الأخلاقية التي تشمل وتشكل السعادة[35].

يدعي الرواقيون أن المشاعر هي تقييمات خاطئة لانطباعاتنا الخارجية التي توجه أفعالنا، وقد ذهبوا إلى أن الخيال يشمل الأشياء القادمة من الخارج وأن الأحاسيس التي تستند إلى الأحكام والتفسيرات والتي شكلها الإنسان مضللة. وإبكتيتوس لا يعتقد بأن الأشياء الجيدة/المفيدة لا تكذب في ظاهرها؛ إذ لا يمكن أن نكسب روحا طاهرة أو حياة جيدة عبر

---

[34] . المرجع السابق، ص. 577.

[35]. HÜLYA KAHVECİ, Virtuous Life and Happiness in Epictetus, Socrates and Stoicism, p. 62.

الاعتبارات الخارجية، مثل الجسد واحتياجاته، وبما أنه لا يمكن لأي فائدة أن تأتي من أي أثر خارجي أو من المشاعر[36] -مثل الغضب والغيرة والرضا والرهبة، وما شابه ذلك- كان ينبغي أن لا نولي اهتماما بها. وبدلا من ذلك وجب أن نمضي قدما وفقا لِمَلَكَةِ العقل. ومنه يقترح إبكتيتوس بأننا لا نستطيع التخلص من مشاعرنا بشكل نهائي أو مباشر، لكن على الأقل يجب علينا أن نخفف من حدة وقوة تأثيرها فينا، وهذا يرتبط أساسا بإرادتنا أو قدرتنا التي تصرح على أن البشر يجب أن يتحرروا من المشاعر. هذا النوع من القدرة مشتركة مع الإله (لكون الإله منزه عن تأثير المشاعر فيه التي توجه الإرادة والعقل).

وهناك ادعاء آخر يدعم فكرة وجود سمات مشتركة مع اهتمامات الإله تتمثل في طرق العمل التي ينتظم بها العقل. فبينما عقل الفرد يتكون من الانطباعات الخارجية، فإن الفكر لا يتكون من الخيال المطلق بطريقة عرضية. فبحجة أن يكون العقل نظاما عليه أن يشاطر الألوهية في سِمَاتِهاَ وخصائصها.

يقول إبكتيتوس: «لقد أعطيناك جزءا معينا من ذاتنا، ملكة الاختيار والرفض هاته، للرغبة أو النفور، أو بكلمة واحدة، الملكة التي توظف الانطباعات الخارجية وتستخدمها؛ إذا اهتممت بها ووضعت كل ما أنت تملكه هناك في ذلك المكان، فأنت لن تخيب أبدا، ولن يعيقك شيء، ولن تتأوَّهْ، ولن تلام، ولن تتملق أحدا مهما كان»[37].

في فلسفة إبكتيتوس، الاقتباس المشترك الذي تم استخدامه من قبل الفلاسفة الآخرين أو حرره كتاب آخرون، هو مثال الطاغية tyrant. حتى لو لم يوافق شخص ما رغبات الطاغية، فعلى هذا الشخص أن يفعل ويتصرف بناء على أوامر الطغاة خلال فترة الطغيان. هذا لأن الطاغية هو الحاكم، وإذا لم يطبق أحد ما أوامره فسيخسر حياته. رأى إبكتيتوس هذا التناقض وأوحى بأن أعمالنا أو مواقفنا يجب أن ترتكز على الفضائل. فإذا كان الطاغية ضد الفضائل، أو أن فهمنا للخير يقودنا نحو الخطأ، فيجب علينا ألا نترك نطاق العقلانية حتى لو كانت حياتنا على المحك.

«فمطالب الطاغية ترمي بالقرد موجعا نحو شيء يسير على ما يرام؛ فمن ناحية الحياة مهددة، ومن ناحية أخرى شيء أكثر أهمية من الحياة نفسها على المحك-إمكانية فقدان الإنسانية، وفقدان العقلانية التي هي جزء من الإله»[38]. في فلسفة إبكتيتوس، ينبغي للمرء أن

---

[36] . يقول إبكتيتوس: «تذكر أن من شتمك أو ضربك لم يهنك، وإنما الذي أهانك هو حكمك بأن هذه الأشياء إهانة. فاعلم إذن كلما أغضبك أحد أن فكرتك ذاتها هي ما أغضبك. لذا حاول جهدك في المقام الأول ألا تجرفك المظاهر. فبمجرد أن تمنح نفسك مهلة وتتريث في الأمر سيكون أيسر عليك أن تتمالك نفسك»، إبكتيتوس، المختصر، مرجع سابق، ص. 52.

[37]. HÜLYA KAHVECİ, Virtuous Life and Happiness in Epictetus, Socrates and Stoicism, p. 63.

[38]. «The tyrant‘s demand throws a monkey wrench into something that is going well ; on one hand life is threatened, and on the other hand something more important than the life

يختار الأفعال الفاضلة لأنه، في الحياة، ما يهم حقا هو الكيان العقلاني والفاضل. ولأننا كيانات عقلانية، لدينا القدرة على تخليص أنفسنا من العواطف. ولأن الإله أعطى الإنسان العقل -وعلى عكس الكائنات الأخرى- للتفكير والتقييم والسؤال والفهم وغير ذلك، علينا أن نعمل وفق هذه المبادئ خلال حياتنا. وبالتالي المطلوب فينا أن نعيش مثل الكائنات العقلانية، وليس مثل الكائنات غير العاقلة.

يقول إبكتيتوس بهذا الصدد: «في الواقع، سوف تجد أشياء كثيرة في الإنسان فقط، ولكن سوف تجد أيضا العديد مما يملكه يشترك مع الحيوانات غير العاقلة. (...) كانت حاجة الإله إلى الحيوانات في أنها تستفيد من الانطباعات الخارجية، وبالنسبة لنا نحن كانت الحاجة في فهمنا لهذا الاستخدام للانطباعات الخارجية. وهكذا بالنسبة لهم، إنه كاف للأكل والشرب والراحة والتكاثر، وأيا كان أي شيء آخر يقع ضمن ميدان الحيوانات، فإنها تقوم به على نحو انفرادي؛ بينما بالنسبة لنا، من امتلك هبة إضافية لملكة الفهم، هذه الأشياء لم تعد كافية بعد، ولكن ما لم نعمل بشكل مناسب، ومنهجي، وطبقا لطبيعة كل فرد وتكوينه، نحن لن نحقق أهدافنا الخاصة. (...) إنه لمن المخجل بالنسبة للإنسان أن يبدأ من مجرد حيث تبدأ الحيوانات غير العاقلة»[39].

وبالرغم من ذلك، حتى لو كان لكل إنسان جزء إلهي، ستظل هناك مشاكل مطروحة. لأنه لا يمكننا التخلص نهائيا من مشاعرنا. الانطباعات تأتي من خلال حواسنا لا إرادية باستمرار، وملكة التفكير لا تستطيع أن تمنع وجود الانطباعات. بمعنى آخر، العقل والفكر لا يوجهان هذه النتائج. ونتيجة لذلك، في بَيَانٍ لإبكتيتوس يرى أن تقاسم الأساس المشترك مع الإله لا يوفر حقا الحل النهائي لإقصاء المشاعر، فما تحت سيطرتنا هي أحكامنا[40]، بينما الانطباعات تُعَدُّ لاحقة على الفرد ومتوقفة به، لكن العقلانية كإدراك وهِبَةٌ إلهية تزودنا بملكة الاختيار حول الظواهر التي نواجهها.

في فلسفة إبكتيتوس هذه الصورة المميزة للعقل تخول لنا إمكانية معرفة ما هو عائد إلينا للتقرير بشأنه. وككيانات عقلانية، البشر لديهم رغبات ومشاعر بالفطرة. ورغم أن هذه السمات كائنة قد لا تكون تحت سيطرتنا، والأحكام والاجراءات التي نتخذها ضدها هي

---

itself is at stake–the possibility of losing humanity, and of losing rationality which is a portion of god», Ibid., p. 64.

[39]. Ibid., p. 64.

[40] . يصب في معنى آخر يفيد «أن لا أحد يختار أن يكون غير سعيد، متوتر، غاضب، بائس، فهذه انطباعات لاحقة ومع ذلك هي كلها في الواقع نتاج أحكامنا، الشيء الوحيد الذي تحت سيطرتنا». ترجمة بتصرف المؤلف، أنظر:

John Sellars, “Want to be happy? Then live like a Stoic for a week”, THE CONVERSATION Academic rigour, journalistic flair, September 28, 2018, link : https://theconversation.com/want-to-be-happy-then-live-like-a-stoic-for-a-week-103117

بشكل تام في متناولنا. لذلك نحن لسنا تحت استحواذ عواطفنا بشكل تام، إذا كنا نستطيع الاستفادة من عبارة إبكتيتوس "الأمر عائد إلينا".

يقول إبكتيتوس: «بعض الأمور تحت السيطرة، في حين أن البعض الآخر ليس تحت السيطرة. ما يقع تحت سيطرتنا التصور والاختيار والرغبة والنفور، وهي بكلمة واحدة، كل ما هو تحت تصرفنا؛ وما ليس تحت سيطرتنا هناك جسدنا وممتلكاتنا وسمعتنا وعملنا، وهي بكلمة واحدة أيضا، كل ما هو ليس تحت تصرفنا. وعلاوة على ذلك؛ فإن الأمور التي تقع تحت سيطرتنا هي بطبيعتها حرة وبدون عراقيل أو عوائق، في حين أن الأشياء التي ليست تحت سيطرتنا هي واهنة وخاضعة ورهينة بعائق وليست تحت تصرفنا. تذكر، بناء عليه بأن ما هو صاغر (عبودي) بطبيعته أتعتقد بأن يكون حرا، وما هو ليس ملكك ليكون ملكك، سوف يكون معاقا ... بينما إذا كنت تعتقد فقط أن ما هو ملكك ليكون ملكك، وما ليس ملكك ليكون، كما هو في الحقيقة، ليس ملكك، آنذاك لا أحد سوف يكون قادرا على الإطلاق على ممارسة الاكراه عليك، ولا أحد سوف يعيقك ... ولا أحد سوف يؤذيك، لأنه لا يمكن لأي ضرر أن يمسك»[41].

إن الهدف النهائي للإنسان في الحياة هو بلوغ السكينة والطمأنينة من خلال عدم التأثر بالمحيط الخارجي، بالنسبة لإبكتيتوس هذا الطريق متاح فقط عند إقصاء المشاعر أو تحييدها. ومع ذلك نجد على أن فلسفة إبكتيتوس لا تقترح أن نكون خارج نطاق القضايا الدنيوية. فما يعنيه بترك المشاعر وإقصائها، أي أننا يجب أن نعمل على طبيعتنا الخاصة.

فإذا كان الفرد يتبع طبيعة المرء فهذا لا يعني أن الفرد لا يتصرف على عكس دافعه، فمن خلال تفعيل الدافع يمكننا أن نكون بعيدين عن المشاعر وكل النتائج الضارة والمدمرة للانطباعات الخارجية. ونتيجة لذلك، سوف ينقد الفرد نفسه ويكون حرا. وبناء عليه يمكن أن نعتبر هذه الخطوات إجراءات أخلاقية، يجب على كل إنسان اتباعها وفقا لمتطلبات الطبيعة.

إن العقل ملكة إلهية يجب تنظيم حياتنا وأفعالنا به. أما الانطباعات الخارجية (أي المشاعر والعواطف) التي لا يسلم منها إنسان، تتجلى خطورتها لحظة إخضاع الفرد إرادته لها، وكنتيجة لذلك قد تُخَلِّفُ ضررا يطالُ الروحَ إذا ما كانت –هذه الانطباعات- خاضعة لتنظيم العقل، من هنا أخذ الفعل الأخلاقي دلالته التي تصب في الاختيار الجيد والصحيح، وعليه بالنسبة لإبكتيتوس ومعظم الرواقيين، هذا النوع من الحياة يتم بلوغه بالفلسفة التي هي علاج ليس للعقل فقط بل للروح أيضا.

4-قيمة العقل ومساره عند الفيلسوف الرواقي إبكتيتوس

[41]. HÜLYA KAHVECİ, Virtuous Life and Happiness in Epictetus, Socrates and Stoicism, p. 65.

نـاقش الفلاسـفة منـذ زمـن بعيـد معنـى الفضـيلة ودور العقـل فـي تحقيقهـا. بالنسـبة للفيلسـوف الرواقـي إبكتيتـوس تـأتي الفضـيلة من خـلال الفهـم الصـحيح للطبيعـة ولعملياتهـا، فضلا عن منزلتها عند الفرد. هذه الفكرة الأخيرة تعبر عن رأي إبكتيتوس بشأن الطبيعة وطريقة عملها ودور العقل في تنظيمها. ومن ثم تكون قدرة الناس على تفعيل العقل بالشكل الصحيح هي جوهر الفضيلة عند إبكتيتوس، لأنـه يؤدي إلـى الفهم الحقيقي للذات وإلـى فهم كيفية التنقل بشكل فعال من خلال مسار الحياة[42].

بالنسبة لإبكتيتوس، عندما تكون قدرة المرء العقلية غير خالصة، يترتب على ذلك أن يكون من السهل على المرء إلقاء اللوم على أخطاء غيره باستثناء نفسه. ومنه يرى أن هذه العملية لا تفيد إلا في إحداث ضرر أكبر وهي طريقة غير عقلانية لمشاهدة الواقع وليس من الحكمة تبنيها، لأن التركيز على ما لا يمكن للمرء أن يغيره لا يمكن أن يساعد أبدا في جعل حياتنا أفضل.

وعلى العكس من ذلك، أولئك الذين يعتمدون على العقل، يعتقد إبكتيتوس أن الحياة ستكون أقل مقاومة لهم. فهؤلاء الذين يقبلون بأن القدر حدد معالم الحياة وعاشوا وفقا لطريقة فهمهم لأنفسهم من دون أن يتخلوا عن هذا الفهم، هؤلاء لديهم فرص الحياة بسعادة أكثر من أولئك الذين ليسوا عقلانيين في حياتهم ولا يجدون في العقل نمط الحياة.

ومن هنا يمكن للأشخاص الذين يعيشون على هذه الطريقة، أن يركزوا بسهولة أكثر على تنمية الذات، وعند قيامهم بذلك، يسخّرون أنفسهم ليصبحوا أشخاصا فضلاء من أجل إنسانيتهم. بمعنى آخر، يعتقد إبكتيتوس أن العديد من الأفراد أصبحوا على بينة بما يمكن إصلاحه وتعديله في أنفسهم، وقادرين على امتلاك حقيقتهم، وهذا يمكن تحقيقه بسهولة أكبر من خلال العيش بطريقة شريفة أو طبيعية أو عقلانية.

ومن الجدير أن نتناول هنا سؤال: لم جعل إبكتيتوس العقل قيمة؟. فبالنسبة له كل شيء في الحياة عابر. سواء الجسم أو المشاعر أو علاقتنا بالآخرين وحتى الروح العاقلة بحد ذاتها تظل شيئا عابرا في هذه الحياة. لذلك يمكن أن يستنتج الفرد بأن قدرة الإنسان على التعقل هي مسألة مؤقتة، مما يعني أن العقلانية لا معنى لأن نعيرها انتباها ونهتم بها.

يخالف إبكتيتوس هذا الرأي، لأن أحد الأسباب التي دفعته إلى افتراض أن العقل قيّم ويستحق الحفاظ عليه، أنه يعكس نظاما أعلى، ولأنه أعظم هبة إنسانية. بعبارة أخرى، إن تحصيل الفرد على قدرة التفكير السليم لأمر رفيع الشأن وبالغ الأهمية، لأنه السمة المميزة

---

[42]. Rocco A. Astore, “The Value of Reason in the Stoic Philosophies of Epictetus and Aurelius”, inquiries journal, 2017, VOL. 9 NO. 03, p. 1, Link : http://www.inquiriesjournal.com/articles/1547/the-value-of-reason-in-the-stoic-philosophies-of-epictetus-and-aurelius

لذاته والتي يجب على المرء أن يتعامل معها طالما أنه صامد (يتحمل ذلك). وبالتالي من السهل أن نعيش الحياة بعقل صاف ومتزن السلوك، يحاكي الطبيعة المتجردة للعناية الإلهية التي تحكم عقلانيا النظام الطبيعي. وعليه، يمكن أن ندعي أن إبكتيتوس بالرغم من أنه يرى أن العقلانية ليست أبدية، فإن أغلب الناس لهم خصائص جوهرية، وبما أن هذا هو الحجر الأساس لهويتهم أو وعيهم الذاتي، فإنه يترتب عليه الرضا والسكينة ويسهل تحقيقها حينما يكون عقل المرء سويا.

وهكذا، تتجلى قيمة العقل في قدرته على مساعدة الإنسان ليكون أكثر طبيعة أو عقلانية لتحقيق سيطرته المتجردة على الحياة كإمكان معقول. بعبارة أخرى، يرى إبكتيتوس العقل قيّما (ثمينا) لأنه يساعد الناس على العيش وفقا لما يهم حقا في الحياة. ويتيح لهم إمكان التعامل مع كل من الأوقات الطيبة أو السيئة، بالطريقة التي لن تؤدي إلى المغالاة أو التعصب. وبالتالي يمكن للمرء أن يدعي أن العقل يلعب دورا متكاملا لا يتجزأ عن صلاحيات الأفراد للعيش أخلاقيا، متى رَجَّحَ الناسُ العقلَ على كيفية تفكيرهم وتصرفهم ليقودهم إلى السلوك الصحيح. وعليه، يُمَكِّنُ العقلُ الإنسانَ من الارتقاءِ لتحقيق فهمٍ أعمقَ للطبيعةِ، الأمر الذي يقودهُ بدورهِ إلى التصرفِ السليم اللازم لتحمل كل ما يمكن للحياة أن تلقي به عليه.

من هنا يتحدد مسار العقل في فلسفة إبكتيتوس، فهو يرى بأن من هم على استعداد لمواجهة مصاعب الحياة هم أكثر حكمة من الذين يتفادونها، وهذا يعبر عن شكل من أشكال العقلانية ومسارها. وهناك طريقة أخرى ليبني بها المرء قوة عقلانية يدعمها إبكتيتوس، وهي التركيز على اللحظة الراهنة وتحليل المحنة التي يواجهها الفرد من منظور غير متحيز، لأنه بهذه الوسيلة يمكن الحصول على قدرة التفكير بالتركيز على الحياة المعيشة.

يتفق إبكتيتوس أيضا مع فكرة أن نحيا اللحظة لأنها هبة تظهر التواضع والعظمة في نفس الآن. وبالتالي فتركيز المرء على أن يحيا باستمرار في الحاضر هو فضيلة، ليس فقط لأنها عملية تنتج العقل الذي يحاكي حياد النظام الطبيعي، ولكن لأن الأمر جدير بالإطراء والثناء، لأنه يعمل على صقل العقل للتفكير المنير، وهذا تحدٍّ يتطلب تحقيقه التصميم. وأخيرا، ليستطيع العقل التعبير عن نفسه وإفساح مجال أكبر له لتحقيق هذا الغرض من خلال الوعي، يجب تدريبه على الوضوح، والوضوح متأت من الارتباط بالزمن الحاضر، وأن يؤدي الشخص واجبه كشخص يحيا ببساطة ويفكر بلا ككل.

وعلاوة على ذلك، يدعم إبكتيتوس وجهة النظر القائلة بأنه نظرا لأن الطبيعة تحدد ظروف الحياة، فإن كل شخص يحوز غرضا أو دورا يتعين عليه الوفاء به[43]. بعبارة أخرى،

[43]. Ibid., p. 1.

الكون هو نظام ذو معنى، وهذا المعنى هو للإنسان، من أجل اكتشافه وتَعَقُّلِهِ، هذا هو الدور الذي ينبغي أن يلعبه المرء من أجل تحقيق أفضل قدراته، إنها مسألة الاعتراف بمن يكون، واعتناق المرء دوره كمراد طبيعي، يعزز تطور ملكة التفكير لديه. إذن؛ العيش وفق ما هو محدد (أي بما يتماشى مع غرض المرء) يعزز قدرة العقل ويمكن الفرد من التفكير بوضوح.

ومن مسار العقل نعرف هويتنا ونؤدي الدور الذي حدده مصيرنا، الذي بدوره يجب أن يقودنا إلى فهم أوضح لتدفق الحياة. فمن خلال فهم الحياة بشكل أكثر دقة؛ يمكن للناس بناء قدراتهم على العقل لأنهم يعيشون كطبيعة مقصودة. وأخيرا بما أن هناك رابطة غير قابلة للكسر بين العقل والسعادة، يمكن القول بأن العقل هو أعظم فضيلة يمكن أن يظفر بها الفرد.

خلاصات ونتائج

من خلال ما سبق، تتجلى لنا أهمية العقل عند إبكتيتوس من خلال اكتساب الوعي الذاتي ومعرفة الفرد لوجوده الداخلي والالتزام التام بهذا الفهم. وعليه، إذا لم يكن الفرد على بيّنةٍ من كيانه الداخلي فهو لن يكون قادرا على السيطرة على نفسه، لذلك كان العقل مطلوبا لمعرفة الذات وتهييئ النفس لتكون تحت سيطرة ذاتها طيلة الوقت، ويترتب على هذا موافقة إبكتيتوس على أن تكون العقلانية هي أعظم فضيلة، لأنها جذور الوعي والتحكم الذاتي. إذن؛ يعد العقل الفضيلة الأكثر قيمة لأنه يوفر الأدوات اللازمة للعيش بطريقة داخلية (أي عقلية وروحية) مكتفية ذاتيا. فبالتركيز على معنى أن يكون العقل الفضيلة الأكثر قيمة، لأنه من خلال تطبيق وممارسة العقل، يمكن أن يرتقي الإنسان إلى مستويات أعلى من درجات الوجود. ولذلك يعد العقل الفضيلة الأعظم للممارسة لأنها أكثر فعالية في تمهيد الطريق لكيفية التعامل مع الحياة.

يَخْلُصُ إبكتيتوس أيضا إلى أن العقل هو أعظم فضيلة لأنه يؤدي إلى الطريق الصحيح لفهم الطبيعة وحدود قدرات الإنسان بالمقارنة معها، فالعقل له تأثير متواضع، وذلك راجع لإدراك وتصور الفرد هيمنة النظام الطبيعي باعتباره أكبر من الذات، ولعل هذا ما يجب أن يكون حافزا لأن نحيا في هذا النظام الطبيعي ونستمد منه ملكاتنا للتحليل باستخدام العقل على أساس طرح سؤال: لماذا تفسد الطبيعة؟

يرى إبكتيتوس الإنسان عندما يفكر في الطبيعة يحاكي سيرورتها أو أنه يحاكي الأصل. وبما أن العقل نشاط يحاكي الإلهي أو الطبيعة اعتبر بالنسبة للفيلسوف الرواقي أكثر الفضائل أهمية، لأنه يمكّن المرء أن يفهم الكشوفات الإلهية، وكيفية العيش في إطار نظام شامل للجميع بشكل صحيح.

ختاما، يدعي إبكتيتوس أن العقل مفيد وقابل للتطبيق لنحيا أخلاقيا، أي أن أحد أهم جوانب العقل جعله حياة الإنسان أفضل، وهو يفعل ذلك من خلال اختيار الأفراد للعمل به. فعندما

يضع الناس أفكارهم العقلانية في العمل فاحتمال أن تقع في الخطأ شبه معدوم لأن الأفكار العقلانية لا تتحدى الطبيعة. وهكذا، استخدام المرء لملكة العقل يقوي فهمه لنفسه وكذلك يوضح له فهمه للنظام الطبيعي ودوره فيه، وبالتالي تكمن قوة العقل في الانفتاح على آفاق جديدة من التفكير، فضلا عن قدرته المؤكدة على توجيه الإنسان إلى مساره المنشود في الحياة.

لائحة المصادر والمراجع

- إبكتيتوس، المختصر، ترجمة ودراسة عادل مصطفى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، الطبعة الأولى 2015.

- ماركوس أوريليوس، التأملات، ترجمة عادل مصطفى، ومراجعة وتقديم أحمد عثمان، رؤية للنشر والتوزيع 2010.

- عبد الرحمان بدوي، خريف الفكر اليوناني، خلاصة الفكر الأوروبي، سلسلة الفلاسفة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الخامسة 1979.

- فردريك كوبلستون، تاريخ الفلسفة، اليونان وروما، المجلد الأول، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، المشروع القومي للترجمة، إشراف جابر عصفور، العدد 436، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، الطبعة الأولى 2002.

- ولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة 1984.

- زكي نجيب محمود وأحمد أمين، قصة الفلسفة اليونانية، الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي، 2017.

- حاتم حميد محسن، دلالات موت سقراط ونظرياته في خلود الروح، صحيفة المثقف، العدد 5008، نشر بتاريخ 2020/05/22، الرابط:

http://ns1.almothaqaf.com/a/b12-1/917496

- لوكيوس سينيكا، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، الرابط:

https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%84%D9%88%D9%83%D9%8A%D9%88%D8%B3_%D8%B3%D9%8A%D9%86%D9%8A%D9%83%D8%A7

- HÜLYA KAHVECİ, Virtuous Life and Happiness in Epictetus, Socrates and Stoicism, a thesis submitted to the graduate school of sciences of middle east technical university, in partial fulfillment of requirements for the degree of master of arts in the departement of philosophy, may 2015.

- John Sellars, “Want to be happy? Then live like a Stoic for a week”, THE CONVERSATION Academic rigour - journalistic flair, September 28, 2018, link :

https://theconversation.com/want-to-be-happy-then-live-like-a-stoic-for-a-week-103117

- Margaret Graver, “Epictetus, Stanford Encyclopedia of Philosophy”, First published Tue Dec 23, 2008; substantive revision Mon Apr 17, 2017. Link :

https://plato.stanford.edu/entries/epictetus/

- Rocco A. Astore, “The Value of Reason in the Stoic Philosophies of Epictetus and Aurelius”, inquiries journal, 2017, VOL. 9 NO. 03. Link :

http://www.inquiriesjournal.com/articles/1547/the-value-of-reason-in-the-stoic-philosophies-of-epictetus-and-aurelius

- Sean Quinn, “Socrates and Meno: Learn More or Remembering?”, Philosophy of Education (Phil 115), September 23, 2013, link :

https://sites.psu.edu/phileduc/2013/09/23/socrates-and-meno-learn-more-or-remembering/

مركز أفكار للدراسات والأبحاث

Afkaar Center for Studies and Research

https:// Afkaar.Center

afkaarcenter@gmail.com

twitter.com/AfkaarCenter

facebook.com/AfkaarCenter

ALL RESERVED©2020

جميع الحقوق محفوظة © 2020